كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

النقد القديم/المرحلة الثالثة

د. جبار عبد ضاحي

المحاضرة الثالثة:

النقد في عصر صدر الإسلام:

Cash in the era of eraly Islam

دراسة حالة النقد في عصر ماقبل الاسلام تقتضي منا الوقوف على ثلاثة مسائل مهمة تحدد وتوضح حالة الشعر في هذه الفترة والآراء النقدية التي صاحبتها كما أن دراسة الواقع العربي بعد ظهور الإسلام وإنتشاره في الجزيرة العربية يطلعنا على التطور الكبير الذي شهدته الحياة آنذاك بكل مظاهرها فقد شهد العرب نقلة كبيرة أخذت بأيديهم من الواقع الاقليمي المتناحر إلى الآفاق الرحبة السامقة تحت راية الدين الواحد والعقيدة الواحدة فقد ترك هذا التطور أثره الكبير في نفوس العرب أفراد وجماعات بوصفهم حملة الرسالة النبوية واصطبغت حياتهم بمبادئ الإسلام وأنها وجهت أفكارهم وإبداعاتهم والشعر واحد من أهم وجوه الإبداع الذي فتن بع العرب وتناشدته في حلها وترحالها ومجالسها ومسامراتها .

مفهوم الشعر في الإسلام والقرآن الكريم:

أما مفهوم الشعر ونظرة الإسلام اليه فتبدأ من الآيات القرآنية الكريمة وتكملها الأحاديث النبوية الشريفة تقرأ في القرآن الكريم دفاعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصونا لدعوته ونبوته وتبرأهما من التهم التي تخبط المشركون في تخيلها وصوغها فقد خيل إليهم عنادهم وكفرهم إنما يسمعون من آيات الذكر الحكيم ليست وحيا يوحى وأنما هو ضرب مما يعرفونه في حياتهم آنذاك. فصار يتهمون الرسول بأنه كاهن وأخرى شاعر وثالثة يصفون كلام الله تعالى بانه السحر فجاءت الايات الكريمة معلنة إنما ينطق به الرسول وحي يوحى وهو كلام الله سبحانه وتعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا يمكن أن يفهم من هذه الآيات الكريمات حط من شأن الشعر والشعراء أو نظرة فيها إحتقار أو سخرية لكونها قد نزهت الرسالة النبوية أن تكون نمطا من الإبداع البشري فقد نفى الله سبحانه وتعالى كون النبي عارفا لكتابه لكي لا يتهم بقراءة كتب الأولين وليثبت حقيقة النبوة وكونها وحيا يوحى. ولم يكن الشعراء جميعا بهذه الصورة المقيتة لينزهه عنها الرسول فللشعر مكانة كبيرة عند العرب وللشعراء أهميتهم في القبائل ما كان جميع الشعراء مادحين مبالغين أو هجائيين مفحشين ويبدو أن تنزيه الآيات الكريمة من قبل الرسول متات من إدعاء الشعراء أنفسهم بأمور غيبية تلهمهم الشعر كما إدعى الكهان والسحرة ذلك. فالشعراء يدعون أن لهم شياطين يوحون لهم بالشعر مثلما يدعي السحرة بملازمة الأرواح والجن لهم وأن القران كلام الله انزله على النبي وهو لا يشبه أي ضرب من ضروب الإبداع إن هو إلا وحي يوحى أما الحديث النبوي الشريف الذي يعد المرجع الثاني بعد القرآن فنجد فيه أقوالاً لرسول تسير في إطار مفهوم الآيات القرآنية الكريمة التي صنفتهم صنفين خير ملتزم بالدين الجديد ومنحرف لا يقدم فائدة أدبية أو أخلاقية.

الشعر والأخلاق:

أما الحديث النبوي الذي قد يفهم منه موقف نقدي قاس إزاء الشعراء عامة والجاهلية خاصة فهو قوله صلى الله عليه وسلم واصفا امئ القيس بانه صاحب لواء الشعراء الى النار أو

أنه أشعر الشعراء وقائدهم الى النار وفي رواية أخرى تفصيل أكثر لحال امرئ القيس في الدنيا والاخرة ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسي في الآخرة خامل فيها يجيئ يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار.وعندما نقف امام الحديث وقفة تامل وتحليل نلاحظ ان الرسول عربي بذوقه الرفيع وبلاغته التي جعلت من أقواله وأحاديثه اعلى نمط عرفته العربية بعد القران الكريم فكيف يحط من شان شعر امرئ القيس اذاً نقد لامرئ القيس نابع من المفهوم الاسلامي للشعر والشعراء ويكون حكمه منصبا على الجوانيب التي فيها وصف فاحش خاصة في غزل الشاعر امرئ القيس التي تتنافى مع تعاليم الدين الاسلامي التي تنادي بالعفة والخلق الكريم.ولا يمكن أن نعقل انكار الرسول لوجود الظاهرة الشعرية في المجتمع العربي ولا أن يمنع العرب عن قول الشعر وهو الذي يقول لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين،فالشعر جزء من حياة العرب ووجودهم ولا يمكن أن يهجروه بأي حال من الأحوال كما لا يمكن أن يدعو الرسول الى مخالفة الطبيعة العربية والإنسانية لكون الشعر مظرا من مظاهر الإبداع الفكري والإنساني وهو العربي الذي يعجب بالكلام الفصيح ويهتز للشعر الجميل فقد ذكر عنه في قصة أحد الوفود بأنه وصف شعر شاعر وكلام بليغ من وفد تميم بقوله(إن من البيان لسحر وإن من الشعر لحكمة)وهناك أقوال أخرى قد تكون أكثر وضوحا لكونها تبين نظرة الرسول الى الشعر ومنها (إنما الشعر كلام من كلام طيب وخبيث وقوله إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن وما لم يوافق الحق فلا خير فيه).فالشعر المتمم لمكارم الاخلاق من هذه الناحية شعر حق وخير وما كان منافيا للحق بمفوهمه العام فلا خير فيه.

إن الوقوف عند مهمة الشاعر وجدوى الشعر في الحياة أمران يشغلان بال الناقد والسامع والشاعر معا،والرسول تعريفه للشعر قد قدم بعض الجوانب هذه الصورة لمهمة الشاعر التي لم يحددها في الدفاع عن الحق أو الدعوة فحسب بل جعل مهمته انسانية شاملة كبيرة ومؤثرة ومنها كشف جوانب الجمال والوجدان في الحياة وان يحرك المشاعر في النفوس

فيجعلها تعيد النظر فيما كانت تتصوره وأن يلفت إنتباه السامع الى أمور ما كان يلتفت اليها فلولا الشعر لافتقدت الحياة الى الكثير من المعانية الفضيلة والجمال ونعني جمال المثل والاخلاق الشخصية كالكرم والعفة والصدق. إن مهمة الشاعر قد تفوق مهمة الفارس إذا أحسن إستعمال موهبته الشعرية وكان عنصرا فعالا في مجتمعه ينير سبل الخير والمحبة والسلام ويحرك مشاعر العطف والحنان والعفو إذا اقتضى موقف ما وساطة شاعر .